

جامعة الملك خالد في عين أستاذ يماني خلال الفترة من

(١٤٢٨ - ١٤٤١ هـ / ٢٠٠٧ - ٢٠١٩ م) (*)

أ. د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م). (الجزء الثامن عشر)، ص ص ٢٧٥ - ٢٨٣ .

١٣. جامعة الملك خالد في عين أستاذ يماني خلال الفترة (١٤٢٨-١٤٤١هـ/٢٠٠٧-٢٠١٩م). بقلم أ. د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي^(١).

ليس أمراً هيناً ، ولا يسيراً أن تختزل شهادتك ، أو أن تكتب رؤاك في وريقات محددة عن تجربة التعليم العالي في جامعة تنتمي إليها ، وتعيش فيها ومعها ، ولها ، طيلة عقد من الزمان وزيادة ، لكنني سأحاول الاختصار والتكثيف ، وأحتفظ بكثير من التفاصيل ؛ لأدونها في كتاب خاص ، أزمع تأليفه عن تجربتي العلمية والحياتية في مدينة أبها ، وفي جامعتها العريقة التي أحببتها ، ومنحتني الحب والأمان في آن .

حين قدمت إلى أبها بعقد العمل في جامعة الملك خالد عام (١٤٢٨هـ) ، واجهتني مواقف من قبل بعض موظفي مطار الملك عبدالعزيز ، لم أكن أتوقعها من موظفي مطار دولي فطالما سافرت لبلدان كثيرة وأجد التعامل الراقي من قبل موظفي المطار فهم واجهة البلد ، لكنني أعدت تلك الحادثة استثناء ، ولا يمكن التعميم عليها ؛ لقد أقلعت رحلتي الداخلية إلى أبها عقب وصولي من صنعاء ، دون أن أتمكن من اللحاق بها ، وطال انتظاري في مطار الملك عبدالعزيز ، كان من المقرر أن أصل بعد صلاة العشاء ، بيد أنني لم أجد رحلة سوى في ساعة مبكرة من اليوم التالي ، استقبلني في المطار زميلي العزيزان : د. داوود مهدي وكان أول متعاقد مع الجامعة من الجامعات اليمنية ، في كلية اللغات والترجمة ، ود. عبد الواحد الزمر الذي تلاه بعام واحد ، الأول من جامعة إب ، والثاني من جامعة صنعاء ، فرع كلية التربية بصعدة (حينها) . وقلت لهما : أنا متعب وأرغب في العودة إلى اليمن ، فابتسما ابتسامة فيها من الغرابة وربما السخرية ، وقالوا : ستري ما يريحك هنا في أبها ، وسيزول التعب إن شاء الله . فهل تحقق ذلك ؟^(٢) .

كنت أول يماني يتم التعاقد معه في كلية العلوم الإنسانية ، وثالث ثلاثة على مستوى الجامعة ، بعد تحولها من فرع جامعة إلى جامعة مستقلة ، وحين أكتب هذه السطور فأنا

(١) الدكتور الحسامي أستاذ في قسم اللغة العربية وأدائها في جامعة الملك خالد منذ اثنتي عشرة سنة (١٤٢٨.١٤٤١هـ/٢٠٠٧.٢٠١٩م) . للمزيد عن سيرته الذاتية انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٢.١٤٢٣هـ / ٢٠١٠.٢٠١١م) ، ج٢ ، ص ٨٦ . والجزء الثامن من الكتاب نفسه (١٤٢٦هـ/٢٠١٥م) ، ج٨ ، ص ٢٤٦ .

(٢) الصلات العلمية والثقافية بين بلاد تهامة والسرارة وحواضر اليمن الرئيسية قديمة فهناك الكثير من طلاب العلم الذين ذهبوا من قراهم في السروات وتهامة خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة وتعلموا على يد بعض العلماء اليمنيين في زيد ، والحديدة ، وتعز ، وصنعاء ثم عادوا إلى بلادهم كي يفقهوا الناس في الدين ويؤمهم في صلواتهم ، ويقوموا على الإصلاح بين أهالي قراهم ، ويساعدوهم في تقسيم الموارث وتبصيرهم في صلواتهم وصيامهم . وتاريخ الحياة العلمية والثقافية في السروات وتهامة من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري موضوع مهم يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية .

أكتبها بعد مضي قرابة اثني عشر عاماً على تلك اللحظة التي أشرت إليها قبل قليل ، وكلما رأيت تحولاً في طبيعة التعليم العالي بالجامعة ، أو انسجماً في أدائي في تدريسي ، أو نجاحاً في عمل علمي في القسم أتذكر تلك العبارة التي قالها الزميلان لي عند وصولي لمطار أبها ، كما أنني حين أكتب شهادتي عن التعليم الجامعي الآن ، أشير إلى تحول مهم على مستوى التعليم الجامعي من حيث استقطاب الكفاءات ومنها الكفاءات اليمينية التي تربوا الآن عن سبعين أستاذاً يمينياً ، وهو تحول نوعي في استقطاب الكفاءات ، وفي إثراء المشهد المعرفي بالجامعة ، بمدارس علمية مختلفة^(١) .

لقد حضر العنصر اليميني ضمن هيئة التدريس في الجامعة الذي لم يكن مألوفاً ، فاليميني حاضر عاملاً ، أو مزارعاً ، أو تاجرًا .. إلخ ، أما أن يحضر بوصفه أكاديمياً فذلك أمر غير مألوف ، لقد سمعت كثيراً عن أستاذ يمني في الجامعة اسمه أ. د. عبد الكريم ناشر . ويبدو لي من خلال سمعته الطيبة على السنة طلابه ، الذين أصبحوا أساتذة في الجامعة ، أو مديرين في مؤسسات مدنية مختلفة ، أنه كان نبيلاً وصاحب رسالة علمية ، وكفؤاً في عمله ، ويمتلك من التواضع والمعرفة ما يجعله قدوة لطلابيه ، وقد غادر الجامعة ، ليلتحق بجامعة صنعاء ، أثناء حرب الخليج الأولى^(٢) . أقول إن اليميني وبخاصة في أذهان العامة لم يكن متصوراً أن يكون (دكتوراً) في الجامعة وكانت ملامح الاستغراب تتجلى كلما أخبرت أحداً حين يسألني : ما عملك ؟ فأجيب بأني أستاذ في الجامعة من اليمن .

مرت سنوات وإذا بالأستاذ اليميني يحقق حضوراً لاثقاً به ، وبالرسالة العلمية التي ينتمي إليها ، حضوراً في الجامعة بكل كلياتها الصحية والعلمية والإنسانية ، وحضوراً في المجتمع ، وفي الأنشطة العلمية خارج الجامعة ، ولاقى الكادر اليميني استحساناً في الوسط العلمي والاجتماعي ، وقد قام أحد الوجهاء وأعيان خميس مشيط وهو سفر بن عبد الله آل برقان الشهراني ، بدعوة أعضاء هيئة التدريس اليمينيين في الجامعة في مادبة عشاء ولقاء تعارفي جمع له ، وفيه أعيان منطقة عسير وعدد من مسؤوليها ، وكان

(١) عرفت اليمينيين في بلاد السروات منذ تسعينيات القرن (٢٠١٤/هـ) وهم يعملون في مجالات خدمية عديدة مثل البناء والعمارة ، وأحياناً رعي الأغنام ، أو العمل في إصلاح بعض المزارع وموارد المياه . وإذا كنت رأيت بعض الأساتذة المعدودين في فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود فهم أفراد تعلموا في مصر أو بعض البلاد الأوروبية وفيهم من يحمل جنسية أخرى إلى جانب جنسيته اليمينية .

(٢) نعم الدكتور عبد الكريم ناشر من المؤسسين لكلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود ، عرفته طالباً ، ثم زميلاً في الكلية نفسها . وكان على قدر كبير من الأدب والخلق ولطف المعشر ، عمل رئيساً لقسم الأحياء لسنوات عديدة ، وهو أستاذ مميز في تخصصه الدقيق .

لقاء استثنائياً بكل المقاييس ، ورتب اللقاء - مشكوراً - الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس أستاذ التاريخ بالجامعة^(١) .

لم يتوقف الأمر على مستوى التعاقد مع عناصر يمنية ، بل اتسعت رقعة التنوع في استقطاب الكلية وقسم اللغة العربية وآدابها على وجه الخصوص كوادر من دول مختلفة: من سوريا ، والأردن ، والجزائر ، وتونس ، فضلاً عن مصر التي كانت حاضرة بشكل مهيم في مؤسسات التعليم الجامعي السعودية ، وفي غيرها من الدول ؛ لكنني كنت أستغرب من قلة الكوادر السعودية في القسم على الرغم أن التخصص (لغة عربية) والجزيرة العربية مهد اللغة ، وصانعة الأبجدية ، لكن عودة المبتعثين من الدول العربية والغربية يزداد يوماً بعد يوم ، فضلاً عن مخرجات القسم من طلابه وطالباته ، الذين اندفعوا مع غيرهم مع حركة العودة الراهنة للالتحاق بهيئة التدريس في القسم ، لقد أخذ القسم يتشكل ليكون من الأقسام الرصينة في مخرجاته العلمية بشهادة كثير من المهتمين والمختصين في هذا السياق^(٢) .

لقد عاصرت ثلاثة مديرين متعاقبين للجامعة أثناء وجودي في الجامعة حتى الآن وهم : أ. د. عبد الله الراشد ، وأ. د. عبد الرحمن الداود ، وأ. د. فالح السلمي ، وعميدان للكلية ، هما : د. حمود أبو ظهير ، وأ. د. يحيى الشريف ، كما عاصرت - إلى الآن - خمسة رؤساء أقسام ، وهم بالترتيب : أ. د. قاسم بن أحمد الأمعي ، أ. د. محمد أبو ملحة ، أ. د. عبد الله بن أحمد حامد ، د. عبد الرحمن المحسني ، والآن د. أحمد التيهاني^(٣) ، وفي مسيرة رئاستهم للقسم أنجز مشروع الماجستير في اللغويات والأدب ، وتخرج منه طلاب كثر ، عدد منهم اليوم انضموا لهيئة التدريس في القسم ، بعد أن أكملوا مرحلة الدكتوراه في البرنامج الذي وضعه القسم ، وكم تعتريك مشاعر من السعادة الفامرة حين ترى بذور الأمل غراس اليوم ، وأنت ترى طلابك وقد أصبحوا

(١) الفضل لله أولاً وأخيراً ثم للأستاذ سفر بن عبد الله آل برقان فهو صاحب المبادرة على إقامة هذه المادة ، ويحسب له الكرم والنبيل ، وحبه لفعل الخير ، وليس ذلك مستغرباً من هذا الرجل ، فهو دائماً صاحب مبادرات خيرية وإنسانية ، وعضو فاعل في مجتمعه يحرص على خدمة الآخرين والمساهمة في كل ما يخدم دينه ووطنه .

(٢) إن فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود ثم جامعة الملك خالد مازالت متأخرة في استقطاب الكوادر السعودية ، نعم كما أشار صاحب هذه الورقة إن الاستقطاب بدأ ينشط في السنوات الأخيرة ، لكن الجامعة مازالت تتحمل المسؤولية ويجب عليها مضاعفة الجهد في هذا الجانب .

(٣) هؤلاء الأساتذة تولوا مسؤولياتهم في الجامعة في فترات متتالية ، وتاريخ الجامعة ، أو كلية العلوم الإنسانية ، أو قسم اللغة العربية وآدابها كلها موضوعات جديدة تستحق أن يوثق تاريخها .

زملاء لك في العمل ، يشاطرونك رسالة التعليم وهموم المعرفة . كما أشهد أن رؤساء الأقسام الذين عاصرتهم تعاملوا معنا بمهنية عالية ، وأخوة نادرة ، ويقدر الحرص على التعامل وفق النظام الإداري فإن البعد الإنساني يحضر حضوراً طاعياً ، وكم عزز ذلك شعور الانتماء لهذا القسم الذي كنت أقول لزملائي عنه: إن قسم اللغة العربية ليس قسمي العلمي فحسب بل هو بيتي .

شهد القسم في هذه المسيرة تحولات نوعية في الجودة ، وفي المناهج التعليمية في مرحلة البكالوريوس وفي مرحلتي الماجستير والدكتوراه ، وانفتح القسم في مرحلة الماجستير ضمن تحولات اعترت الجامعة بعد العام (٢٠١١م) ، ففتح برنامج التدريس الموازي الذي فسح لعدد كبير من الراغبين في الالتحاق بمرحلة الماجستير من تحقيق طموحاتهم ، وقد شهدت أعدادا من الطلاب والطالبات الذين درست لهم عدداً من المقررات في الأدب الحديث ، وتحليل النصوص ، والنقد الحديث ، شهدتهم وهم ينطلقون بهممة عالية في التلقي والتفاعل ، والاستيعاب المباشر ، وعدد منهم التحق الآن مدرسا مساعدا في الجامعة^(١) .

لا أستطيع أن أغفل الحركة العلمية والإدارية داخل مجلس القسم ، وفي اللقاءات العلمية الخاصة بمناقشة الخطط ومناقشات الرسائل العلمية فذلك كله يشكل إضافة لعضوية التدريس الذي بقدر ما يُعلم ، فإنه يتعلم ، ويستفيد من كل جدل معرّف وإداري في إثراء تجربته ، كيف لا وأنت تعيش في مجلس قسم قوامه يزيد عن ستين عضو هيئة تدريس ، مناقشات ورؤى وجدل ، واستعراض اللوائح ، وتقليب وجهات النظر، إنها مدرسة متكاملة ، وكم أنسى أننا في اجتماع إداري حتى أرى قائمتين للتوقيع على الحضور^(٢) .

يؤلني أن طلاب الدراسات العليا على الرغم من حرصهم على المحاضرات يتغيبون عن مناقشات الرسائل العلمية ، بل يمكن القول : إن مناقشات الرسائل غائبة عن ذهن طالب الدراسات العليا في الجامعة ، ولو درى هؤلاء الطلاب أن المناقشات

(١) إن برامج الماجستير الموازية التي فتحتها الجامعة لعدة سنوات كانت جيدة ، لكن شابها أحيانا الارتجالية في التدريس وتأهيل الطلاب للحصول على الدرجة العلمية . وقد تخرج في هذه البرامج طلاب جادون مميزون يحبون العلم ويحرصون عليه . وهناك طالبات وطلاب آخرون لم يكونوا جادين لكنهم أيضا حصلوا على الدرجة بسهولة المناهج والأعمال المطلوبة منهم . المصدر : معاصرة الباحث لهذه الفترة ، بل عمل محاضرا في ذلك البرنامج لعدة فصول دراسية .

(٢) أشكر يا دكتور عبد الحميد على هذا الرصد ، وأضم صوتي إلى صوتك وأقول إن الأقسام الأكاديمية هي مطبخ المعرفة لكل ما يقوم عليه القسم . والجميل أن تنوعت مدارس المشاركين في كل قسم ، فهم بدون شك سوف يثرون النقاش ويفيدون ويستفيدون .

العلنية للرسائل العلمية تشبه في الدول الأخرى مهرجاناً يحرص على حضوره كل باحث مهتم ، ربما لحرصوا كثيراً ، لكن هذا الأمر في ذكرة الغياب ، وأتذكر حين كنا طلاباً بمرحلة الدكتوراه ، في جامعة عربية أننا إن لم نحضر بوقت مبكر جلسة المناقشة فإننا لا نجد مكاناً في المدرج الكبير الخاص بالمناقشات ونظل نسترق السمع واقفين جوار الأبواب ، حتى نحصل على مكان إن غادر شخص ، أو نظل كما نحن ؛ وكم أرجو أن يحرص الطلاب على حضور مناقشات الرسائل والأطاريح العلمية ، لما فيها من فائدة وجدوى ، بل أرجو ألا يكون دوام طالب الدراسات العليا فقط وقت المحاضرة ، فالفضاء المحيط بقاعة المحاضرة ربما يشكل وعي الطالب أكثر من سواه . وقد سررت كثيراً حين بدأ اهتمام ولو جزئي أقل من مستوى الطموح من قبل بعض الطلاب بمتابعة المناقشات وبخاصة حين بدأ عدد الطلاب يزداد في برنامجي الماجستير والدكتوراه ^(١) .

سألني الزميل د. ناصر قميشان ذات فعالية مع طلاب البكالوريوس في الجامعة ، وفي السنوات الأولى لالتحاقني بالجامعة عن أهم السمات التي لمستها في طلابي في الجامعة ، فتفرق عن طلاب الجامعات اليمنية ، فأجبت إن هناك عدداً من السمات التي أثارت إعجابي وهناك عدد من السمات السلبية التي تمنيت ألا تكون ؛ ومن السمات الإيجابية المعجم الذوقي النبيل الذي يتمتع به الطالب الجامعي فكثيراً ما سمعت من طلابي كلمات في غاية النبل والتقدير : (تكفى) (طال عمرك) ، (بيض الله وجهك) (يرحم والديك) (على خشي) .. الخ ^(٢) .

كما ترى الطالب الجامعي - هنا - حين يصفحك ثم يسحب رأسك نحوه ليطلع عليه قبله تعد رمزاً جميلاً للتقدير ، والاعتراف بالفضل ، وتاجاً فوق كل ثمن ، وهي ميزة قد لا تجدها في طالب جامعي في بلد آخر ^(٣) ، ولم يقتصر الأمر لدى الطالب في مرحلة الجامعة بل يسري الأمر على طلاب الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه الذين قد تزيد أعمار بعضهم عن عمرك ، ومع ذلك فإن سمة التقدير وأبوية الأستاذ

(١) إن الذي تتادي به يا دكتور عبد الحميد هو الصحيح ، لكن ظاهرة عدم حضور مناقشات الرسائل موجودة في البلاد العربية والغربية وقد حضرت عدداً من مناقشات رسائل الدكتوراه والماجستير في بريطانيا وأمريكا (١٤٠١-١٤١٩هـ / ١٩٨١-١٩٨٩م) ، وكان عدد الحضور لا يتجاوز العشرة طلاب ، وقد يختلف الإقبال من قسم لآخر ومن جامعة لأخرى .

(٢) يا دكتور حسامي هناك الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغوية التي يمارسها الناس يومياً ، وفي أماكنهم المختلفة وأعمالهم المتنوعة وجميعها من هذه الأمثلة التي ذكرت وما شابهها . وأقول أنها جديرة بالجمع والدراسة والتحليل تاريخياً وثقافياً ، واجتماعياً ولغوياً ، وهذه مسؤوليات الأقسام الأكاديمية وأساتذة الجامعة المتخصصين .

(٣) هذه من العادات والأعراف التي عرفها ومارسها سكان السروات وتهامة ، وهناك الكثير من هذه السلوكيات الجميلة والتقاليد النبيلة التي تستحق أن تدرس وتوثق وتشر .

محل إجلال وإعزاز نادر . تلك السمات الإيجابية أو بعضها هي سمات تجعلك مزهواً بمستوى التقدير الذي تحظى به من قبل طلابك^(١) .

وحين تعيد قراءة التعليم الجامعي وتكتب شهادتك عنه فلن يفوتك على الإطلاق ما يحيط بك من علاقات علمية وإنسانية حميمة مع الزملاء في القسم ، وفي الكلية عموماً ، فلقد عملت في أكثر من عشرين لجنة من لجان القسم ، وكان التكامل والتفاعل وعلاقات الإنجاز هي المهيمنة فيما عدا حالات نادرة شهدت فيها بعضاً من الزملاء السعوديين ممن يوكل لهم رئاسة اللجان في القسم يتعامل بنوع من الديكتاتورية ، والإعجاب بالرأي ، ومحاولة فرضه على الآخر^(٢) ، وتلك حالات نادرة ، والنادر لا حكم له ، والغالب على جمهور الطاقم العامل في القسم من الأساتذة التعامل الأخوي النبيل الذي نعتز به ، ونوثق شهادتنا عنه ، فخلال اثني عشر عاماً وجدت الألفة ، والتكامل ، والتعامل الأخوي النبيل ، والتشارك في السراء والضراء ، وتلمس أحوال زملائهم المتعاقدين^(٣) . وقد كانت اللقاءات الاجتماعية التي تتعقد في القسم في العام مرتين على الأقل فرصة مناسبة للقاء خارج الأفق الرسمي ، فضلاً عن لقاءات الأنشطة الرياضية التي تكسب اللقاءات سمة الانطلاق في فضاء مفتوح بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، يجعلنا نتيقن - دون مجاملة ، أن الصورة النمطية للشخصية السعودية ، التي ترى بأنها شخصية متعالية . مغرورة ، تعد صورة مزيفة^(٤) ، فالمجتمع السعودي وإن

(١) هذا الذي عرفته ومازلت أشاهده في كلياتنا وأقسامنا ، وهذا يدل على أدب الطالب ، وعلى التربية والبيئة التي عاش فيها . وسلوك طلاب الجامعة في جنوب المملكة العربية السعودية وتقديرهم لأساتذتهم موضوعات مهمة وجديرة بالرصد والتوثيق ويا حبذا لو صدرت دراسات في هذا الباب تشتمل على الصورة الفوتوغرافية والتدوين العلمي .

(٢) للأسف لقد عاصرت وشاهدت شيئاً من هذه السلوكيات خلال عملي في الجامعة أكثر من أربعين عاماً ، لكن نسبة هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات السلبية قليلون ، والبعض منهم قد يعود إلى رشده ويعتدل في سلوكياته وتعامله مع زملائه وطلابه .

(٣) هذه وجهة نظرك يا حسامي لأنك أنت صاحب شخصية جادة ومرحة واجتماعية ، فليس عندك مشكلة في الاتصال بالآخرين ، بل تفرض نفسك على الآخر حتى يحترمك ويتعامل معك في جوانب عديدة . لكن غيرك من المتعاقدين ، وأقول معظمهم ، لا ينخرط في المجتمع ، كما تفعل ، وبالتالي فالتعامل الاجتماعي معه محدود ، وبعض السعوديين (هدايم الله) لا يقربون من زملائهم ويتعاملون معهم في أمور اجتماعية وثقافية عديدة ، وإنما يتعاملون أحياناً ، أو يتجاهلون الزميل أو الزملاء من المتعاقدين ، وهذا ما عرفته وشاهدته منذ كنت طالباً حتى الآن (١٤٤١.١٢٩٦هـ / ١٩٧٦.٢٠٢٠م) والمسؤولية على إدارة الجامعات وكلياتها فتعقد ندوات أو لقاءات في نشر الوعي ، ومحاربة هذه السلوكيات السيئة .

(٤) أنت تقول هذه الأقوال لانخراطك في مناشط عديدة مع السعوديين ، لكن ليس كل الآخرين مثلك . وأقول إن الشخصية المتعالية والمغرورة عند بعض السعوديين موجودة ، وشاهدتها وتحدثت فيها مع كثير من الزملاء لكنهم ينكرون ذلك ، ويقولون هذا غير صحيح كما تفعل أنت الآن يا حسامي ، لكن الحقيقة أنها موجودة ويجب أن تحارب وينشر الوعي عند الناس في هذا الجانب .

تدخلت كثير من العوامل في صياغته وبخاصة العامل الاقتصادي فهو كأبي مجتمع عربي أصيل فيه النخوة ، والشهامة والكرم ، ما يكسر أفق كل توقع ، ويبدد كل صورة نمطية سلبية ، وكم تحدثت لزملائي بقولة أعتز بها : إن لم أكن تعزيا لكنت عسيريا . ولو كان الجمال مدينة لكانت أبها ؛ بل إن ما يميز المجتمع السعودي أن قيم التكافل فيه متينة ، وأن هناك تقاليد راسخة في تبجيل الضيف ، وتقدير الآخر ، والتعاون^(١) ؛ ولا يكاد أحد أفراد أعضاء هيئة التدريس يقع في مأزق اجتماعي أو مرض أو مكروه إلا وتلاحظ الزملاء السعوديين سابقين في المعروف ، باذلين لكل ما يقتضيه الأمر^(٢) .

لاشك أن الحركة العلمية في القسم حركة متميزة ، وبدأ في وقت متأخر التوجه نحو الندوات العلمية ، والمؤتمرات العالمية تشق طريقها فصي كلية العلوم الإنسانية انعقدت عدة مؤتمرات في قسم الإعلام وهو قسم ناشئ بيد أن أهمية الإعلام في اللحظة الراهنة جعله يحظى باهتمام متفرد فعقدت فيه مؤتمرات تزيد عما عقد في قسم اللغة العربية القسم الأكثر عراقة في الكلية . لكن اهتمام الجامعة بتسهيل المشاركة في المؤتمرات العلمية يبدو أقل من المستوى المطلوب ، وهناك شروط شبه تعجيزية للمشاركة في المؤتمرات الخارجية وبخاصة للمتقاعدين ، مع أن هناك جامعات خليجية تمنح المشارك ببحث علمي في مؤتمر خارجي مكافأة تزيد باطراد مع اتساع الدائرة الجغرافية للمؤتمر الذي يحضره المشارك ، فالجامعة ليست قاعة تدريس بل هي مؤسسة بحثية في المقام الأول^(٣) .

كم سعدت حين أقامت الكلية مؤتمرها الأول في القسم ، فالمؤتمرات العلمية عنوان عريض لتقدم المؤسسة العلمية وبخاصة حين تكون الغايات العلمية ، لا الظهور الإعلامي

(١) يادكتور عبد الحميد كلامك صحيح ، فأبي مجتمع يتخلله الغث والسمين . وكوني باحثاً في تاريخ وحضارة عسير بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، أقول نعم هناك الكثير جدا من الأعراف والصفات والأخلاقيات التي عرفها ومارسها ومازال يمارسها إنسان هذه البلاد . وحديتنا عن التعالي والغرور الذي يتقمصه بعض السعوديين ما زال أيضا موجودا وبخاصة في العقود الستة الأخيرة ، وربما النمو الاقتصادي الذي يعيشه الناس أحد الأسباب لهذه السلوكيات السلبية ، وهذه الصفات ليست مع اليمينين فحسب ، لكن مع كل الجنسيات الأخرى ، وربما الجنس العربي في وضع أفضل من أجناس شرق آسيا كالهنود والبنجالية وغيرهم . أقول هذا الكلام لما أشاهده في المنازل ، أو المؤسسات الاقتصادية العامة والخاصة ، فهناك من السعوديين من يتجاوز في السلوك واللفظ السلبى على تلك الأجناس ، وهذه عادات وسلوكيات خاطئة تستحق المحاربة ونشر الوعي بين الناس ، والدعوة باحترام الإنسان لأدميته وإنسانيته .

(٢) لا يجوز التعميم هنا ، وإنما أي مجتمع فيه السلب والإيجاب ، وأقول إن غالبية السكان في عسير أو جنوب المملكة العربية السعودية على قدر كبير من اللطف ومساعدة المحتاج ، وكانوا في السابق أفضل بكثير من الوقت الحاضر . والمقارنة بين عادات وأعراف السكان في الماضي والحاضر من الموضوعات الجديدة الجديدة بالدراسة والتوثيق الحيادي والنزيه .

(٣) من تجربتي في جامعة الملك سعود ثم جامعة الملك خالد أقول نعم هناك الكثير من العراقل التي تحد من إبداع الأستاذ الجيد والمتميز ، وأرجو من جامعاتنا السعودية أن تعالج هذا الأمر وتشجع وتدعم كل عضو هيئة تدريس جاد ومثمر .

هو المقصد والمرتجى ، لقد تفاعل القسم بموظفيه وأساتذته لإنجاز ذلك المؤتمر الذي حضره مشاركون من جامعات سعودية ومن دول عربية وأجنبية ، وهي إضافة مهمة للقسم وللجامعة ، مع العلم أن المؤتمرات كانت شبه غائبة عن القسم والكلية ، بل عن كثير من كليات الجامعة ، ويزيد من سعادتي أن الكليات اليوم أخذت تتنافس في عقد المؤتمرات العلمية والندوات الدولية ، وذلك أمر يعزز مسار العملية التعليمية في الجامعة وتعصيدها ، وأرجو أن تعيد الجامعة النظر في كل الكواجح التي تقف وراءها دوافع مالية تحول دون عقد المؤتمرات والندوات ؛ فالمؤتمرات العلمية فرصة لتبادل الخبرات ، والإفادة من تجارب الباحثين ، وفرصة لتطوير مستوى التعليم ، وتفعيل منسوبي الجامعة من أعضاء هيئة التدريس ، إنها الرثة التي تتنفس الجامعة من خلالها ^(١) .

تفاجأت هذا العام بظاهرة جديدة تتمثل باستقطاب الجامعة لطلاب من دول عربية وإفريقية في مساري البكالوريوس والدراسات العليا ، كما تم افتتاح وحدة اللغة العربية للناطقين بغيرها في قسم اللغة العربية ، وذلك من شأنه أن يضيف دماءً جديدة للجامعة ، ترفع من شأن مستوى الجودة ، وتعزز رسالة الجامعة ، وتساهم في التواصل بين الثقافات والشعوب ، وكم أشعر بفرح غامر وأنا أرى طلاباً من جنسيات إفريقية في قاعة الدرس في مرحلة الماجستير ، واكتشف أنهم مؤسسون بشكل جيد في اللغة العربية ، وهاهم اليوم يشقون طريقاً جديداً في مرحلة الماجستير في الأدب العربي : اثنان من نيجيريا ، وواحد من (مالي) ، وأيضاً ثلاثة من نيجيريا في اللغويات ، وواحد من النيجر في الدكتوراه ، وحين شاركت في الأولمبياد الثقافى بالجامعة ضمن لجنة تحكيم فرع (الشعر الفصيح) هذا العام (١٤٤١هـ) هالني طالب من طلاب المنح في مرحلة البكالوريوس من (غامبيا) حين ألقى قصيدة باذخة الخيال ، ولاشك في أنه انتزع المرتبة الأولى بجدارة وبتقدير عال نظراً لمستوى القصيدة التي قدمها ومستوى المقطوعة التي أنجزها في القاعة في مدة لا تزيد عن عشر دقائق فقط . وحين صعد المنصة قال بثقة الشاعر الموهوب : أنا من غامبيا بلاد الشعر ووطن الشعراء ، نرجسية جميلة في مثل هذا الموضوع ، وما الشاعر إن لم يكن نرجسياً ، ألم يقل المتنبي :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟^(٢)

(١) أرجو يا دكتور عبد الحميد أن تطلع جامعاتنا علي هذا النداء الذي لو أخذ به فإنه يرفع من مستوى البحث والعلم والمعرفة . وما زالت جامعاتنا متأخرة نوعاً ما في تشجيع المؤتمرات والندوات والبحث العلمي .

(٢) أشكرك يا حسامي على لفت أنظارنا لهذا التطوير في مسيرة الجامعات السعودية ، وأمل أن يتوسع هذا الاستقطاب ، لأن ذلك مما يساعد على نشر التراث العربي والإسلامي في أصقاع المعمورة . كما أرجو أن نرى باحثاً جاداً يدرس بداية ثم تطور استقطاب الطلاب الوافدين إلى جامعات الجنوب السعودي ، مع التركيز على مستوياتهم ، وأهدافهم ، ونتائج تلقي التعليم في هذه المؤسسات العلمية الحكومية .

إن مذكراتي وذكرياتني عن التعليم العالي في جامعة الملك خالد فيها من الثراء ما يضيق به هذا المقام؛ فكيف أستطيع اختزال تجربة (١٢) عاماً في صفحات قليلة، يطاردني معها الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، بين اليوم والآخر؛ لإرسالها على بريده كي لا يتأخر كتابه عن النشر، كيف أستطيع تلخيص اثني عشر عاماً هي بالنسبة للروح والقلب والفكر عمر مديد بالمعنى، غني في المبنى ٩!

ختاماً تحية وفاء أسديها لهذه المؤسسة التي جئتها أستاذاً مساعداً، وأكتب هذه الحروف وقد تمت ترقيتي للأستاذية فيها منذ أربع سنوات، (مايو ٢٠١٥م) تحية لجامعة جئتها بكتابين، وها هي اليوم كتبي المطبوعة تزيد عن اثني عشر كتاباً، وكتابان مخطوطان، تحية لجامعة جئتها بجائزة واحدة، واليوم أعتز بأني نلت أثناء عملي فيها تسع جوائز علمية، تحية لجامعة نشرت خلال تعاقدني معها أكثر من عشرين ورقة بحثية، وشاركت في أكثر من عشرة مؤتمرات وندوات عالمية، وألقيت عشرات المحاضرات في نواديها، وفي الأندية الأدبية في المملكة وفي جامعات المملكة عموماً، انطلاقاً منها، تحية لجامعة مكنتني من تدريس مئات الطلاب في المرحلة الجامعية وفي مرحلتي التدريس العالي: الماجستير والدكتوراه، فكانوا هم امتداد الروح، والكنز الذي سأظل أباهي به ما حييت. أما أصدقائي من أعضاء هيئة التدريس فهم هبة السماء، وغيثان المدرار. تحية لجامعة منحتنا أجنحة نحلق بها في سماوات المعرفة، وألقت علينا رداء الدفاء في أزمنة باردة، واستضافتنا في أزمنة الجذب والاحتراب، تحية لا يجف ماؤها، ولا ينضب موردها ما تعاقب القمران^(١).

(١) إن شهادتي عنك يا دكتور حسامي مجروحة لأنني أحبك وأجلك، لأنك تمثل الأستاذ المثالي في خلقك، وتعاملك مع الآخرين، وفي حيادك ومثابرتك على تطوير نفسك علمياً ومعرفياً، وأتمنى أن أرى أمثالك كثيراً في جامعاتنا العربية والإسلامية فأنت قدوة حسنة للأستاذ الجامعي، ولا أجملك في هذا القول، وإنما هي الحقيقة بعينها. (ابن جريس).